

سعادة الدنيا والآخرة

جئنا إلى الدنيا بأمر الله، وسنخرج منها يوماً كما جئنا، وكما أننا لم نعلم ساعة المحي، كذلك لا نعلم ساعة الخروج ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

وفي مجيئنا إلى الدنيا امتحان واختبار، وبعد خروجنا منها حسابٌ وجزاء ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢)

فسعادة الآخرة تتوقف على الإيمان والعمل الصالح في الدنيا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣)

لذا كان لفترة الحياة الدنيا التي نحيها شأنها وخطرها؛ لأن عليها يتوقف ما

بعدها ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿

وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ

أَهْوَى ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ (٤)

(١) لقمان : من الآية ٣٤ .

(٢) آل عمران : ٣٠ .

(٣) الكهف : ٣٠ .

(٤) النازعات : ٣٤-٤١ .

مرحلة الحياة الدنيا لها شأنها وخطرها. والذين يرايون إليها وينسون غدهم يُعَرِّضُونَ أَنفُسَهُمْ لِعَذَابِ الْمَوْتِ، ويندمون حيث لا ينفع الندم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۗ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴿^(١)

ولذا فإن الإنسان - دائماً - في حاجة إلى أن يُراجع نفسه؛ حتى لا تفلت أيامُ العمر دون أن يتروّد بالباقيات الصالحات ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿^(٢)

ومراجعة النفس أن توزن بميزان؛ حتى لا يخدع الإنسان. وكم من ناس ﴿ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿^(٣) وميزان الحق في عملك أن تزن الأمور بمراضات ربك لا بهوى نفسك. فكل ما كان طاعة لله فعجل به، وما كان معصية فابتعد عنه، فإن الله يغار وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه.

(١) المؤمنون : ٩٩-١٠٣.

(٢) الكهف : ٤٦.

(٣) الكهف : من الآية ١٠٤.

في الحديث المتفق عليه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى قنلى أحد فصلى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: « إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها. قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١)

وفي رواية: « ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم » قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر. (٢)

وفي رواية قال: « إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها » (٣)
إن موعدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض، فلنعد لهذا اللقاء طهر القلب واللسان وصالح الأعمال. « وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي. ألا فإن موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يردده علي غداً فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي »

أخي المسلم:

ميزان الحق في أمرك أن تزن الأمور بمرضات ربك لا بهوى نفسك. ومرضات ربك في الإيمان به وطاعة أمره.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

والله - جَلَّ وَعَلَا - قد أحلَّ الطيبات، وأمر الناس بما يصلح حالهم، وحرَّم الخبائث، ونهاهم عما يُفسدُ أمرهم. ولا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان طيباً. والطيب من الأعمال ما وافق شرع الله وكان خالصاً لوجهه. فكن دائماً حسن الذكر لله في يُسرِكَ وُعُسْرِكَ، وأحوالك كلها؛ فإنك ممتحن ومختبر. وكل ما يمر بك من أعراض العسر واليسر، والصحة والمرض، والشدة والرخاء، سينتهي وتجد نفسك أمام إجابتك وعملك ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظَلُمُونَ أَحَدًا ﴾ (١)

فاجعل إجابتك في اليسر خالص شكرٍ وصادق برٍّ، وإجابتك في العسر جميل صبر وحُسن توكل، وفي الأحوال كلها إقامة فرائض وحُسن أدائها؛ فإن الله قد طلب منا أعمالاً بالليل لا يقبلها في النهار، وأعمالاً في النهار لا يقبلها في الليل. فكن يقظاً في أداء ما طُلب منك في وقته، ولا تؤجل أو تؤخر؛ فإنك لا تدري متى تُدعى فتجيب ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ (٢)، ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) فاستعن بالله، وتوكل عليه، واعلم أن الله يرضى أن يراك حيث يجب، فكن عند مرضات الله؛ ليستقم أمرُك. واعتصم به تحظى بالهداية والتوفيق ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤)

(١) الكهف : من الآية ٤٩

(٢) لقمان : من الآية ٣٤.

(٣) البقرة : من الآية ١٤٨.

(٤) آل عمران : من الآية ١٠١.

أخي المسلم:

إن أمتنا الإسلامية - وهي تنشدها مجددا وعزها - تدرك أن السبيل إلى ذلك إيمانها بربها، واعتصامها بكتابه؛ حتى تنهض في جميع المجالات وهي متآخية متعاطفة متراحمة.

فكن - أخي المسلم - عاملاً في تحقيق الغاية، مبتغياً وجه ربك: « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »^(١)، « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »^(٢)

اللهم إنا نسألك أن تجمع على الخير والبرِّ قلوبنا، وأن تكتب لأمتنا الإسلامية خير ما ترجوه من نصرٍ وما تنشده من عزٍّ.



(١) رواد البخاري.

(٢) رواد الطبراني.